**البحث البيبليوغرافي (السداسي الثاني)**

**الأولى ماستر - أدب حديث ومعاصر**

**في سبيل التقديم**: يشكل البحث البيبليوغرافي بأوعيته المعرفية المختلفة، قاعدة بيانات لا يمكن الاستغناء عنها في مجال المعرفة العلمية، والتنظيم المنهجي للمعلومات. وقد كانت له هذه الأهمية، لا لخطواته العلمية والإجرائية فحسب، وإنما لتقنياته وأدواته الفعالة بدءا بالآليات التالية:

1 - تحديد أنواع الاقتباس وطرائقه.

2 - التوثيق العلمي وأساليبه.

3 - تقنيات ومهارات البيبليوغرافيا.

4 - قواعد البيانات البيبليوغرافية، والفهارس المفتوحة.

5 - قضايا الوصول الحر إلى مفاتيح المعلومات؛ كالأرضيات والبوابات، والمنصات..... مصنفات نسقة، وكثفت معلوماتها بحيث لا نقرأ من أولها إلى آخرها عادة، ويأتي في مقدمة أدوات البحث عن المعلومات ما يلي:

- **الفهرس**: هو قائمة أو ثبت، أو بيان لما تشتمل عليه المكتبة من مقتنيات، رُتّبت عناصرها هجائيا بأسماء المؤلفين أو العناوين، أو موضوعياً، أو رقميا. وللفهرس أشكال عدة من بينها:

1 - الفهرس المرئي. 2 - الفهرس البطاقي. 3 - الفهرس المطبوع. 4 - الفهرس المحزوم في الإعلام الآلي.

- **الكشاف**: هو دليل منهجي لمحتويات ملف، أو وثيقة، أو مجموعة من الوثائق. ويتكوّن من: ترتيب منظم لمصطلحات، فضلاً عن الإشارات، والإحالات، والأرقام الكودية.

- **المستخلص**: يُعرّف على أنه تمثيل مختصر ودقيق لمحتويات وثيقة ما.

- **البيبليوغرافية**: هي قوائم وصفية للإنتاج الفكري، قد تكون في موضوع واحد أو أكثر.

- **الأنترنيت**: شبكة من الحاسبات الإلكترونية، سواء المشابهة أو المختلفة الأنواع، والأحجام، يرتبط بعضها ببعض عن طريق بروتوكولات تحكم عملية تشارك وتبادل المعلومات.

ومن أهم أدوات البحث عن المعلومات عبر شبكة الأنترنيت ما يلي:

- **الأدلة، الفهارس الموضوعية**: عبارة عن قائمة من الموقع مصنفة ومرتبة بواسطة العنصر البشري، ترتيباً هرمياً لموضوعات تندرج من العام إلى الخاص. وهي تلك الأدلة التي تقوم بجمع وتنظيم وتركيب المواقع في تصنيف معيّن عادة ما يكون هرمياً.

- **محركات البحث**: محرك البحث هو عبارة عن قواعد بيانات ضخمة بعناوين ومواقع، مع وصف مصغر لصفحات الأنترنيت، والتي بواسطتها يمكن البحث عن موضوع معيّن في حقل معيّن في الشبكة، بشكل دائم بغرض إيجاد دليل معيّن لمثل هذه الصفحات، ولأنها تعمل بشكل آلي، وتقوم بفرز وفهرست كمّ هائل من الصفحات.

بهذا التقديم المختصر، نكون قد أوضحنا ماهية البحث البيبليوغرافي في عصرنا الحديث، وكيفية ..... لحقل المعلومات والبيانات، وكيفية الاستفادة منها عبر المنصات، والبوابات والمصنفات الرقمية والورقية.

إلاّ أنّ السؤال الذي ينبغي طرحه هو: هل يوجد في تراثنا القديم ما يمكن أن يصطلح عليه حقيقة أو مجازاً باسم "البحث البيبليوغرافي"؟ وللإجابة عن هذا السؤال، ينبغي أن نعرض لأهم مفردات هذا السداسي في هذه المادة.

سنتناول المصدر الأول للبحث البيبليوغرافي في تراثنا القديم، ممثلاً في كتاب "الفهرست" لصاحبه ابن النديم، يليه "الفهرسة" لابن خير الإشبيلي، و"كشف الظنون" لحاجي خليفة.

وقبل استعراض هذه المصادر البيبليوغرافية، لا بأس أن نورد مجموعة من المراجع التي ستساعد على تكوين فكرة علمية حقيقية عن تلك المصادر، كما تجدر الإشارة ههنا إلى أنّ تلك الكتب الأمهات نفسها هي مصادر للبحث البيبليوغرافي المراد معرفته.

1 - الفهرست لابن النديم، مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم، وفضل الفهرست، بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د ت.

2 - الفهرست لابن خير الإشبيلي.

3 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لحاجي خليفة، نشر عام 1941، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية).

4 - تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي.

5 - أنواع البيبليوغرافيا، إعداد محمد عثمان، الجامعة المنوفية، مصر، د ت.

6 - فوزية مصطفى محمد عثمان، البيبليوغرافيا: مفهومها، أهميتها، تقنياتها. مجلة المكتبات والمعلومات العربية، الرياض، ع2، أفريل 1990.

7 - عامر إبراهيم قنديلجي، ربحيى مصطفى عليان، وآخرون، مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنيت، عمان، دار الفكر، 2000.

8 - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، مكتبة مصباح، السعودية، 1988.

9 - عبد الوهاب، عبد السلام أبو النور، تنظيم المعرفة، مدخل عام وقضايا رئيسية في التنظيم والتصنيف، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

I - **الفهرست لابن النديم**:

1 - **تمهيد**: إذا كانت البيبليوغرافيا هي علم "أحوال الكتب"، وهي تسمية أطلقها حاجي خليفة على علم البيبليوغرافيا، الذي يعتبر من أهم العلوم في نظره« كونه أول مرحلة من مراحل البحث والتنقيب »([[1]](#footnote-1))، فإنه من الأهمية بمكان التعريف بابن النديم. أولاً، فكتابه "الفهرست" وأهميته والغرض من وضعه الفهرست، وأقسامه ومحتوياته، ليليها منهج ابن النديم في ترتيب مادة الفهرست، فمصادره في جمع مادة الفهرست.

جاء في مقدمة الفهرست« هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، مبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم ومناقبهم، ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة »([[2]](#footnote-2)).

مع الإشارة بحسب مقدم الكتاب، إلى أنّ النُسَخ التي وصلتنا من هذا الكتاب ناقصة« ومما يستدعي السف أن جميع النسخ التي وصلت إلينا من هذا الكتاب معيبة، فبعضها ناقص أجزاء، وبعضه بياض في جملة مواضع، وبعضها فيه تحريف كثير. وقد طبع هذا الكتاب سنة 1872. وقد اعتمدوا فيه نسخة في مكتبة باريس، ونسخة في مكتبة كوبرلي في الأستانة، ونسختين في فينا، ونسخة في ليدن. وهذه النسخ مع كثرتها لم يستطع المصحح أن يستخرج منها نسخة صحيحة كاملة. ومن تلك السنة سنة 1872 إلى الآن لم يعد طبعه مع حاجة العلماء والباحثين إليه، حتى هيّأ الله "الحاج مصطفى محمد" صاحب المكتبة التجارية الكبرى، فبذل جهده في طبعه وعرضه في هذا المعرض القشيب من الجودة والإتقان، فله الشكر على عنايته، وتعميم الانتفاع به. وفقنا الله جميعا لصالح الأعمال »([[3]](#footnote-3)).

2 - **ترجمة ابن النديم**: هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، المعروف بابن النديم، البغدادي الوراق،« تكاد سيرته لا تعرف، ولا تاريخه العلمي، ونشأته وارتحاله، ولو بصفة تقترب إلى الدقة. وكل ما يوحي إليه أه كان وراقاً ينسخ الكتب، ويبيعها في بغداد خلال القرن الرابع الهجري. وقد انتهى من تأليف كتابه "الفهرست" في سنة 377 ه، كما بيّن ذلك في مقدمته التي اشتملت على قول يصف فيه غرضه من تأليف فِهْرِسْتِه. هذا ما جعل إبراهيم الأبياري يقول إن:« قلّة المكتوب عن ابن النديم جعل المتصلين بكتابه "الفهرست" يفتشون بين ثنايا هذا الكتاب، علّهم يجدون شيئاً يلقي الضوء على حياته »([[4]](#footnote-4)).

3 - **الفهرست**: يُعدّ أقدم وثيقة شاملة، تعكس الحياة العقلية الإسلامية في العصر العباسي. فهذا ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" ذكره على أنه "فهرست الكتب"، وابن حجر العسقلاني أسماه "فهرست العلماء". وأسماه "الصفدي" "فهرست الأدباء"، وحاجي خليفة سماه "فهرس العلوم". ويعرّفه البغدادي بقوله:« كتاب الفهرسة في الأخبار والتراجم وأنواع العلوم »([[5]](#footnote-5)).

ومما يلاحظ على هذه التسميات أنها تصب في المعنى نفسه، وهو الحصر البيبليوغرافي للمؤلفين ومؤلفاتهم.

4 - **أقسام الفهرست ومضامينه**: قسم ابن النديم كتابه إلى عشرة أبواب، سماها مقالات، وكل مقالة تنقسم إلى فصول سمّاها فنوناً« ولقد بلغ عدد الفنون إذا اعتبرت المقالة العاشرة فناً واحداً ثلاثة وثلاثين فناً »([[6]](#footnote-6)).

كما تنحصر عدد صفحات المقالة الأولى من صفحة 13 إلى 59، والمقالة الثانية حول النحو والنحويين. والواضح أن هذا التقسيم قلم على أساس العلم(إذ قدّم النحو على النحويين).

أما المقالة الثالثة، فكان التصنيف فيها على أساس العلوم أو الفنون المتمثلة في الأخبار والآداب والسير والأنساب، والتي تتوزع على ثلاثة فنون، وقد بلغ عدد صفحاتها 73 صفحة.

والمقالة التي تليها، صُنّفت هي الأخرى حسب العلم، فكانت حول "الشعر والشعراء"، وهي أصغر المقالات حجماً.

أما المقالة الخامسة، فتدور حول "الكلام والمتكلمين"، وهي 05 خمسة فنون.

أما المقالة السادسة فكانت حول "القه والفقهاء"، وتحتوي على أكبر عدد من الفنون (08 فنون)، بينما جعل المقالة السابعة حول العلوم البحتة والتطبيقية بفنونها الثلاثة: الفلسفة الطبيعية، والهندسة والرياضيات والفلك، وأخيراً الطب.

واستعرضت المقالة الثامنة "الترفيه والسحر"، وجعل التاسعة منه لـ"المذاهب والاعتقادات"، وهي فنان. أما المقالة العاشرة والأخيرة، فلم تقسم إلى فنون، فالحديث فيها يدور حول الكيميائيين والصنعوّيين.

وهكذا نجد ابن النديم قد استوعب جُلّ علوم عصره، بذكر معظم المؤلفات والمؤلفين التي هي انعكاس لثقافة عصره، وللثقافة العربية في عصورها الذهبية.

5 - **منهجه في ترتيب مادة الفهرست**: اعتمد ابن النديم في عرض مواد الفهرست العلمية على المنهج الموضوعي الذي « سبق به غيره من الباحثين في عصرنا الحالي، ليصبح رائداً في التأليف الموسوعي البيبليوغرافي لدى علماء المسلمين، بالرغم من أنّ ابن الديم يبيّن في مقدمته أنه يسعى إلى ذكر الكتب ومؤلفيها بشيء من الاختصار »([[7]](#footnote-7)).

1. - شعبان عبد العزيز خليفة، البيبليوغرافيا أو علم الكتاب: دراسة في أصول النظرية البيبليوغرافية وتطبيقاتها، دار الأمان، مصر، د ت، ص 235 [↑](#footnote-ref-1)
2. - ابن النديم، الفهرست، تقديم أحد أساتذة الجامعة المصرية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د ت. ص5 من المقدمة. [↑](#footnote-ref-2)
3. - المصدر السابق، ص 9 [↑](#footnote-ref-3)
4. - بوبكر فاطمة، منهج الإسناد ودوره في ضبط البيبليوغرافية العربية - مقاربة - تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الدراسية 2010/ 2011، ص 80. [↑](#footnote-ref-4)
5. - عبد الستار الحلوجي، دراسات في الكتب والمكتبات، ص 94. [↑](#footnote-ref-5)
6. - بوبكر فاطمة، المرجع السابق، ص 83. [↑](#footnote-ref-6)
7. - المرجع السابق، ص 85 [↑](#footnote-ref-7)